دور الأديان في السلام العالمي ومجابهة التطرف الديني

The role of religions in world peace and confronting religious extremism

أ.د. عقيد خالد حمودي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
الجامعة المستنصرية

Prof. Dr. Aqeed Khaled Hamoudi
Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies
Mustansiriya University
aqeedazawi@yahoo.com

الملخص:-

إنّ الدين يعدُّ في ذاته حاجة فطرية للإنسان من حيث كَوْنِهِ إنسانًا، ومن هنا عرَّف علماء الأديان الإنسان بأنّه كائن متدين؛ لأنّه الكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذي يميل إلى التدين بطبعه، فالتدين خاصة من خواص الإنسان، ولذا فهو حقّ أصيل من حقوقه تُعنى به الشريعة الإسلامية، ولا ينبغي غبن حق الإنسان في التدين أو تقويض أركانه أو تفتيته بفعل القوانين الوضعية، أو بفعل تأثير شعارات التعايش والسلام وصراع الحضارات أو تحاورها، أو تقارب الأديان وغير ذلك من الشعارات التي يموج بها الواقع المعاصر. والدين الحق مصلحة ضرورية للناس، لأنّه ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه، والدين الحق يعطي التصور الرشيد عن الخالق، والكون، والحياة، والإنسان، وهو مصدر الحق والعدل، والاستقامة، والرشاد.وتتمثل النزعة الروحية الأصلية لدى الإنسان في التدين الذي هو علاقة روحية بين الله والإنسان، وقد أراد الله أن يواظب الإنسان على عدم نسيان هذه الصلة الروحية، فأرسل الأنبياء والرسل إلى البشر على مرّ التاريخ؛ لتذكيرهم بهذه الصلة التي تستوجب شكر الإنسان لله والالتزام بطاعته. هذا هو ملخص البحث ونسال الله التوفيق والسداد .

الكلمات المفتاحية :- الأديان ، السلام العالمي ، التطرف .

Abstract :-

Religion in itself is considered an innate need for man in terms of his being a human being , hence, religious scholars define man as a religious being , because he is the only being among all beings who tends to be religious by nature, so religiosity is a particular characteristic of man, and therefore it is an inherent right that is concerned with Islamic law. The human right to religion should not be neglected, undermined, or fragmented by man-made laws, or by the influence of slogans of coexistence, peace, clash of civilizations, or dialogue with them, or the

rapprochement of religions, and other slogans that abound in contemporary reality. True religion is a necessary interest for people, because it regulates man's relationship with his God, man's relationship with himself, and man's relationship with his fellow man and his society. True religion gives a rational conception of the creator, the universe, life, and man, it is the source of truth, justice, uprightness, and guidance. The original spiritual tendency of man is represented by religiosity, which is a spiritual relationship between God and man . God wanted man to persevere , in not forgetting this spiritual connection, so sent prophets and messengers to mankind throughout history , to remind them of this connection that requires a person to thank God and commit to obeying .

Keywords:- Religions , world peace , extremism .

المقدمة :-

الحمد لله الذي أنعم علينا بجلائل النعم ودقائقها وأعظمها هو نعمة الإسلام، وجعل ديننا أشرف الأديان، وملتنا خير الملل، وأمتنا أوسط الأمم، ونبينا هو أفضل الأنام، بين الحلال والحرام، وشرع الشرائع، وسن السنن، وعلم بالقلم، وقد أحكم الأحكام، وأتبع الكتاب بالسنة لتفصيل مجملاته، وتجزئة كلياته، وتشريح مشكلاته رحمة للعالمين، وشفع القرآن بالحديث لتوضيح نصوصه، وتبيين فصوصه، وتخصيص عمومه، وتعميم خصوصه رأفة وعناية بالمؤمنين، أما بعد:

أهمية البحث:

فإنّ الدين يعد في ذاته حاجة فطرية للإنسان من حيث كَوْنِهِ إنسانًا، ومن هنا عرَّف علماء الأديان الإنسان بأنه كائن متدين؛ لأنه الكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذي يميل إلى التدين بطبعه، فالتدين خاصة من خواص الإنسان، ولذا فهو حقّ أصيل من حقوقه تُعنى به الشريعة الإسلامية، ولا ينبغي غبن حق الإنسان في التدين أو تقويض أركانه أو تفتيته بفعل القوانين الوضعية، أو بفعل تأثير شعارات التعايش والسلام وصراع الحضارات أو تحاورها، أو تقارب الأديان وغير ذلك من الشعارات التي يموج بها الواقع المعاصر.

مشكلة البحث :

يسعى البحث للإجابة عن التساؤلات المطروحة حول علاقة الدين في تشجيع السلام والأمن ، كما يتناول الرؤية المناهضة لمفهوم السلام وتوظيف الدين لتأجيج الاحتراب والصراع .

هدف االبحث:

يرمي البحث لقدم صورة جلية عن دور الدين في تنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه، والدين الحق يعطي التصور الرشيد عن الخالق، والكون، والحياة، والإنسان، وهو مصدر الحق والعدل، والاستقامة، والرشاد.

وتتمثل النزعة الروحية الأصلية لدى الإنسان في التدين الذي هو علاقة روحية بين الله والإنسان، وقد أراد الله أن يواظب الإنسان على عدم نسيان هذه الصلة الروحية، فأرسل الأنبياء والرسل إلى البشر على مرّ التاريخ؛ لتذكيرهم بهذه الصلة التي تستوجب شكر الإنسان لله والالتزام بطاعته.

المبحث الأول : العنف في المفاهيم الدينية

المطلب الأول : الإسلام والعنف

إن الإسلام لا يلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول في الإسلام، إلا مع القناعة واليقين إذ أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وأن عقيدته هي الصواب والصراط المستقيم، وأنها المتفقة مع العقل، ومع ذلك يترك للإنسان البالغ حرية الاعتقاد، واختيار الدين الذي يريده، على أن يتحمل نتيجة هذا الاختيار، لما ورد في قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ في الدّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا} [١].

وكانت الآيات القرآنية التي أذنت بالقتال تحمل في طياتها أسباب المشروعية من دقع الظلم ومنع الفتنة في الدين ورد الاعتداء على الدعاة إلى الله ، قال تعالى : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ *الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }[٢].

فالإسلام يحبذ السلم ويشجع عليه بكافة طرقه ووسائله قال تعالى : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [٣].

١ سورة البقرة: من الآية ٢٥٦
٢ سورة الحج : الآية ٣٩ ـ ٤٠ .
٣ سورة الحجرات : الآية ٩.

هذا إذا كان النزاع بين المؤمنين فإذا كان بين غير المؤمنين فمن باب أولى أن يكون الإصلاح بينهم فحثت الآية الكريمة على الإصلاح فيجب على المسلمين اتخاذ كل الوسائل المؤدية له كالوساطة والتحقيق والتوفيق والتحكيم والمفاوضات والمساعي الحميدة وغيرها[١].

ومن صور التسامح الإسلامي أن الاختلاف في الأديان لا يحول دون البر والصلة وتبادل الهدايا, فقد جاءت أسماء بنت أبي بكر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت:" يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال (نعم صليها)." [٢] فأمر بصلتها وبرها بالرغم من شركها, أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقد احل تعالى ذبائحهم وضيافتهم: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [٣]

على مثل هذا التسامح قامت حضارة الإسلام، فشهدت الدنيا لأول مرة ديناً ينشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان، ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية. فكانت الوظائف تعطى للمستحق الكفء، بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه، وقد شارك النصارى مشاركة ايجابية في كثير من أعمال الدولة فقد اتخذ أبو موسى الأشعري أمير الكوفة كاتبا نصرانيا, كما ولى الوليد ين عقبة والي عثمان رجلا مسيحيا لإدارة شؤون مسجد قريب من الكوفة, وقد شغل المسيحيون في الكوفة أعمال الصيرفة، وكونوا أسواقا لها, وكانت الحركة المصرفية بأيديهم كما كانوا يقومون بعقد القروض لتسهيل التجارة، وكانت تجارة التبادل والصيرفة بأيديهم, وقد مهروا في الصيرفة، ونظموها على شكل يشبه البنوك في هذا العصر [٤].

ولذلك ارى من الضروري تبيان مفهوم الحرب : والذي يعني القتال ، قال تعالى {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ}[٥]. أي في القتال ، قال تعالى {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ}[٦]. أي كلما جمعوا للقتال شتت الله جميعهم .

١ حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية في الشريعة الإسلامية . د. احمد أبو الوفا ، ط٢ ٢٠٠٧ ، دار النهضة العربية بيروت ، ص٣ .
٢ رواه البخاري ج٣ ص١١٦٢ رقم (٣٠١٢).
٣ المائدة: ٤
٤ ينظر: عبد الرحمن أحمد البكري, عمر بن الخطاب, دار الإرشاد للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ج١ ص١٦٦ ـ ١٦٧.
٥ سورة الأنفال : الآية ٥٧ .
٦ سورة المائدة : الآية ٦٤ .

وقال تعالى : {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}[١]. والجهاد شرعا بذل الجهد في قتال الكفار[٢].

المطلب الثاني: العنف في اليهودية والمسيحية

نذكر حروب قدماء المصريين والهكسوس وأهل بابل وكذلك حروب المدن اليونانية على الرغم من المثل المشتركة وأسلوب الحياة الذي كان يجمعهم فقد استعملوا أبشع وسائل التقتيل والتدمير والتنكيل بالمهزوم للسيطرة على حوض البحر المتوسط[٣].

وهناك حروب دينية كان الأباطرة والملوك يوجهونها ضد من اختلفوا معهم في الدين كمطاردة الوثنية للمسيحية ثم بعد ذلك انتشار المسيحية ومطاردتها للوثنية.

اليهودية والعنف :

كان حال اليهود في أوروبا غاية في البؤس الذي يتخللها العنف وعدم الاستقلال، فإنهم كانوا في وضع مختلف في العالم العربي و الإسلامي عموماً. " و هنا لا بد من الاشارة إلى أن اليهود في البلاد العربية و الاسلامية و على الرغم من عزلتهم داخل أحياء خاصة، كانوا يعاملون معاملة تختلف تماماً عن يهود أوروبا من حيث المشاركة في الحياة السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية ... ، و كانت كل الظروف متاحة لهم للذوبان في مجتمعاتهم هذه، نظراً لتسامح العرب و الإسلام تجاه الأديان السماوية " (٤).

إن التعاليم الدينية اليهودية كانت دوما وراء عزلة اليهودي. و اذا نظرنا إلى النصوص الدينية اليهودية فاننا نرى انها تحض على الإستعلاء و التوجس من الأغيار، و عدم الإختلاط بالشعوب. فهذه النصوص من خلال تمجيد الشعب اليهودي المقدس و تحقير غير اليهود و تسميتهم بالطبقات التي تعيش في العوالم السلفى بل بحيوانات في كثير من النصوص التلمودية. قد عمّقت شعور اليهودي بالإنتماء إلى عرق مقدس و متفوق، و ملّئت احساساته بالحقد و الكراهية لغير اليهود، و نتيجة لذلك نرى أن اليهودي بالفعل ينعزل عن الآخرين من الشعوب و المجتمعات و لا يساعد إلا في المشاريع التي يجني منها الثمرات لنفسه أو لصالح جماعته المنعزلة

١ سورة محمد : الآية ٤ .
٢ صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني ج٦ ص٣ .
٣ ينظر : قوة الطوارئ الدولية ودورها في خدمة السلام ، مصطفى مؤمن .
٤ القشطيني، خالد: الصهيونية و اللاصهيونية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ص ٧٢١ .

إن الإنعزال اليهودي و انغلاقه على ذاته كان في تأريخ الجماعات اليهودية من أهم أسباب الاضطهادات التي تعرضت لها تلك الجماعات. سواء كان الانعزال قد أبغض الأغيار وعمّق سخطهم تجاه اليهود، أم استُغِل ذلك الانعزال من قِبَل الأغيار لتصعيد وتيرة البغض و العنف تجاه الجماعات اليهودية. ويضيف غارودي: " ويميز برنار لازار النزعة المعادية لليهودية الصادرة عن المسيحية، بشكل عام و المستمرة منذ القرن الرابع الميلادي حتى منتصف القرن التاسع عشر الاخير، عن ظاهرة مناهضة السامية ... كما أن معاداة المسيحية لليهودية هي من مخلفات الفكر القسطنطيني العقائدي و السياسي، الذي تبنته الكنيسة المنتصرة، الوارثة لتقاليد كهنة المعابد اليهودية، و لتقاليد الامبراطورية الرومانية، والتي تحولت منذ امتلاكها للسلطة، من معاناة الاضطهاد، إلى إيقاع الاضطهاد بغيرها من الديانات كالوثنية و اليهودية. و قد وجدت في اليهودية ... منافساً لابد من دحره. وراحت تهتم بحماقة اليهود بأنهم من ذاك الشعب الذي اصبح برفضه الإعتراف بأن يسوع هو نفسه المسيح المخلّص . في عداد (قتلة) الرب ... وبيّن لازار كيف أن سخافة تقوقع الطوائف اليهودية و انغلاقها على أضيق و أدق تفاسير الشريعة قد وفر خلال تعاقب القرون، معطيات قابلة للإتهام بيسر ".[1]

المسيحية والعنف :

ركزت المسيحية على بيان واجب الإنسان نحو ربه ونحو نفسه، دون عناية بعلاقته بغيره، إلا في القليل النادر [2] ودعت الى المحبة والتسامح: (أحبوا أعداءكم، أحسنوا الى مبغضيكم) [3].

وان إعلان حقوق الإنسان في الثورة الفرنسية في إعلان عام ١٧٨٩ لم يكن قد استعار بطريقة مباشرة أي شيء من التعاليم المسيحية، في تأريخ الديانة النصرانية، لأنها ديانة روحية واخلاقية أكثر مما كانت ديانة تشريعية تتدخل في مجالات حياة الناس فلم تكن حقوق الإنسان خلال العصور الوسطى المسيحية موضوعاً قائماً بذاته، والدليل على ذلك ان الكنائس المسيحية، لم تكن تدعم حقوق الإنسان، حيث كان امراء الإقطاع قد حالفوا مع البابوات على حرمان الناس من حقوقهم التي تولد معهم فكان رجال الكنيسة والأمراء يملكون الأرض وماعليها ويبيعونها ويشترونها، فالمساواة بين الناس على الأرض بقيت محدودة وغريبة عن

١ غارودي، دراسة في الصهيونية السياسية، المرجع السابق، المقدمة ـ
٢ ينظر: المدخل لدراسة القانون، القاعدة القانونية، نظرية الحق، د. محمد حسن قاسم: (ص٢٣٦).
٣ إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرون، آية:٢٢.

رجال الكنيسة، فالكنيسة منعت الناس من الإدلاء بآراءهم، واستعملت العنف لاجبارسكان شمال أوربا على اعتناق المسيحية، [١]

ولأجل ذلك كانت اهتمامات المسيحية أكثر بالروحانيات أكثر مما تهتم بالعقيدة، ولذا يسند اليها الفقر في التشريع ((نقرر ان المسيحية فقيرة في تشريعاتها وانها دين يعنى بالروحانيات ولا يهتم بشؤون الدنيا، وهذا يؤكد انها تكملة لأديان بني إسرائيل فقد تركت لهذه الأديان كل مسائل التشريع أو أكثره وقنعت بتوجيه كل العناية الى الجانب الذي أهمل اليهود، وهو جانب التسامح والحب والزهد في الدنيا)) [٢]

المبحث الثاني: الصراع الديني بين الشريعة والقانون

ورد في اللغة للصراع معان متنوعة، فقد جاء الصراع بمعنى: الطرح على الارض، تقول صرعه صرعاً اي طرحاً – والمصارعة والصراع: معالجتها ايهما بصرع صاحبه ورجل صريع اذا كان ذلك صنعته، وجاء في الحديث {ليس الشديد بالصرعة}[٣] بمعنى: الرجل الحليم عند الغضب– والصريع المجنون ومصارع الناس اي مساقطهم ومقاتلتهم [٤].

وفي الاصطلاح: فقد جاء في الموسوعة السياسية انه: تنافس او صدام بين اثنين او اكثر من القوى او الاشخاص الحقيقيين او الاعتبارين (كالشركات) والدول– يحاول فيها كل طرف تحقيق اغراضه واهدافه ومصالحه ومنع الطرف الاخر من تحقيق ذلك بوسائل وطرق متنوعة مختلفة.

والصراع ظاهرة طبيعية في الحياة والمجتمعات الانسانية وفي كل الميادين وقد يكون مباشراً او غير مباشر سلمياً او مسلحاً ، واضحاً او كامناً واشهر انواع الصراعات هو الصراع الدولي ، والصراع الطبقي،

١ ينظر: النظرية العامة لحقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي؛ د. جبار صابر طه، أستاذ القانون الدولي الخاص، المساعد، الطبعة الأولى، مطبعة منار، أربيل: (ص١١٦-١١٧)،والمصطلحات السياسية، د. يوسف الواعي: (ص٢١١).

٢ الشلبي: د. احمد، مقارنة الاديان، المسيحية الجزء الثاني، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨، ص٢٣٧.

٣ صحيح بخاري ، كتاب الادب، رقم الحديث ٥٦٨٩.

٤ ينظر: ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج٣، ط٣، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر ، ١٩٧٠، ص٣٤٢.

- ابي مسعود محمد بن احمد الازهري. تهذيب اللغة ، تحقيق محمد علي النجار، ج٢، دار المصرية للتأليف والترجمة، ب- ت ، ج٢، ص٢٤-٢٥.
- مجد الدين الفيروز ابادي . القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ب- ت، ج٣، ص٤٩-٥٠.

والصراع الطبقي، هو مفهوم ماركسي[١] مركزي في تفسير التأريخ والحركية الجدلية والاثار الاجتماعية لعلاقات الانتاج..[٢].

فاذا وقفنا عند المفهوم اللغوي والمصطلحي نجد ان الصراع هو غلبة لاحد المتحدين لامر ما، اما اظهاراً للقوة البدنية المتمثلة بـ (المادية اليوم) او اظهاراً للقوة العقلية (الفكرية والمعنوية) فيتم من خلال ذلك اسقاط مادي او فكري فتصارع ارادتين ينتج عنها اثبات او نفي لاحدى الارادتين فيكون الاستسلام والخضوع والعبودية في ظرف الغالب على المغلوب او الحاكم على المحكوم بنوعيه المادي والفكري والمنهزم او الضعيف منها هو الخاسر، فبأي المجالات إذن يكون الصراع ؟ وبأي المعاني يتصارع ؟ وعلى حساب ماذا او لمن تكون النتائج ؟ وما هي اسبابه ؟ سنتعرف على هذا كله ونحن نتحدث عن طبيعة الصراع وفكرته، وما هيته في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول : الصراع في القانون الدولي

الصراع هو : نضال مسلح بين فريقين متنازعين يستعمل فيها كل فريق ما لديه من وسائل الدمار والهلاك للدفاع عن مصالحه وحقوقه ولفرض إرادته على الغير[٣].

وعرفها آخرون : بأنها نزاع مسلح بين دولتين أو بين فريقين من الدول ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة[٤].

(وتكون الحرب مشروعة عندما يكون الغرض منها الدفاع الشرعي عن المصالح الضرورية كلما تعرضت للاعتداء ، ويجب أن يكون الرد بحجم العدوان كما وكيفا فالتجاوز عن حدود الدفاع الشرعي يحول الحرب الدفاعية المشروعة إلى الحرب العدوانية غير المشروعة)[٥].

تكون الحرب مشروعة لدى فقهاء القانون الدولي في إحدى حالتين :

أولاها / أن تكون دفعا لاعتداء واقع بالفعل .

والثانية / أن تكون الحرب لحماية حق ثابت للدولة انتهكته دولة أخرى دون مبرر.

١ ماركس: مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي ولد ١٨١٨- ت١٨٨٣ الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء ، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ، بيروت، ط٤، ١٩٨١م ، ص٤٣٨.
٢ د. عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة ، ط١، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٣٢.
٣ محاضرات في القانون الدولي العام . محمد المذوب .، بدون ناشر ، ص ١٠ .
٤ آثار الحرب في الإسلام ، د.وهبة الزحيلي دار الفكر دمشق ١٩٩٨ ص٣٥ .
٥ مجموعة الأبحاث العلمية ، د. مصطفى إبراهيم الزلمي بدون سنة الطبع ص ٣٢ .

أما الحرب غير مشروعة (المحرمة) فتلك التي يقصد منها الفتح والرغبة في السيطرة بسط السلطان[١]

/ الحرية الدينية في القانون الدولي

لقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة الثامنة عشرة على الحرية الدينية وأيده في ذلك نص المادة الثامنة عشرة أيضا من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية .

وهناك من يعد حرية الفكر وحرية الضمير قبل حرية الدين في الصياغة ، ذلك تمشيا إلى حد كبير مع منهج الشيوعيين الملحدين الذين يهمهم التكريس على حرية التحلل من الدين بالإثبات بالفكر قبله . والمادة الثامنة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هي . ..

(لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين)[٢].

(فالتضامن الانساني يتطلب التقاء شتى الثقافات في نطاق الحضارة الانسانية، كي تتفاعله من دون ان تتصادم، ويغني بعضها بعضاً، فلا توجد ثقافات منغلقة على نفسها بطبيعتها، او ميالة نحو العنف) [٣].

ماهية الصراع وطبيعته:

الذي ينظر الى العالم الاسلامي اليوم يجد ان صراعاً يدور به وهذا الصراع الفكري يهتم به اعداء الاسلام كل الاهتمام وهدفهم منه، تقليل ثقة المسلمين بانفسهم وانتزاعهم من ماضيهم وقطعهم جذورهم العريقة، وقد وقع بعض المسلمين في الفخ فصدقوا ما قاله اعداء الاسلام، وراحوا يرددون اقوالهم ويقللون من اهمية المسلمين حتى اوشك الصراع الفكري ان يحقق اهدافه ، فليس موضوع الصراع بين الفكر الاسلامي والغربي موضوعاً قليل الاهمية بالنسبة للعالم الاسلامي، فعلى مدى وعي المسلمين لطبيعة المعركة الفكرية التي يخوضونها مع الحضارة الغربية يتوقف مستقبل فكرتهم الجديدة ورسالتهم السامية، واساس هذه المعركة ليس بالجديد انما هو على مدار تاريخي يتحدد بظهور الاسلام وقبلته فلعبة الصراع قديمة كان اليهود يلعبونها في المدينة (يثرب)[٤]، قبل الاسلام بين الاوس والخزرج ، اكبر قبيلتين يومئذ في يثرب، فكان اليهود يدخلون في الاوس والخزرج، ويثيرون الصراع بينهما من الداخل حتى تقع بينهما الحرب التي قد يقتل فيها افراد من اليهود من الجهتين، لكن يظل لليهود مصلحة عليا بل اكثر من مصلحة فهم يسعون الى الا

١ الشريعة والقانون الدولي ، للأستاذ علي علي منصور ص ٢٣٧ – ٢٣٩ .
٢ وثائق حقوق الإنسان ، د.الشافعي محمد بشير ، مادة ١٨ ص١٤.
٣ حسن بن طلال: حوار الحضارات - خطرات ونظرات- رئيس منتدى الفكر العربي، ايرلندا، ٢٠٠١، ص٥.
٤ يثرب: هي المدينة المنورة اليوم وكانت في السابق يقال لها (يثرب)

تأتلف القبيلتان فتكون لهما الزعامة في المدينة ويفقد اليهود مركزهم المتميز فيها تماماً، مثل ما يفعل اليوم الغرب الكافر المتمثل بالولايات المتحدة الامريكية وصراعها مع العرب والمسلمين خصوصاً وغيرهم عموماً ليحافظوا على مكانتهم واقامة دولتهم ، كما انهم يسعون الى اثارة الحروب بين القبيلتين، واليهود هم الكاسبون من ذلك، فلما جاء الاسلام انتقلت القبيلتان وآخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفقد اليهود كل شيء هناك، ودار الزمن دورته، فغفل الحراس، فخرج اليهود يعيثون فساداً في الارض ولعبوا لعبتهم القديمة في صراع اليوم ولذات الاهداف[١].

يرى المفكر الاسلامي ابو الاعلى المودودي ان سبب عبوديتنا اليوم للفكر الغربي يكمن في الضعف والتقهقر المادي والفكري معاً لذا يقول ان الحكم والغلبة والاستيلاء المتمثل بالصراع اليوم يرجع لامرين اثنين هما: الاول– الغلبة الفكرية المعنوية، والثاني – الغلبة المادية السياسية، فاما الاول فهي ان تتقدم امة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدماً يجعل سائر الامم تؤمن بافكارها. واما الثانية فهي ان تصبح امة من شدة القوة والبأس باعتبار القوى المادية بحيث تعود الامم الاخرى لا تستطيع ان تحتفظ باستقلالها السياسي ازائها فتستبد هذه بجميع الثروات عند تلك الامم وتسيطر عليها – لذلك المسلمين اليوم يعانون من عبودية مضاعفة ، بسبب الهزيمة الفكرية والمادية السياسية معاً. ومن سوء الحظ انه ليس لهم على ظهر الارض رقعه اسلامية واحدة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهتين المادية السياسية والمعنوية[٢].

وفكرة الصراع بين الحضارات تناولها علماء الاجتماع والسياسة والحضارة من خلال جملة مسميات منها – الحوار الحضاري والصراع الحضاري – الصدام الحضاري – تصادم الحضارات المعركة الحضارية – نهاية التاريخ امثال فرنسيس فوكاياما وهنتكتن في الوقت الحاضر وكلها ذات مدلول واحد وان اختلفت التسميات لدى المفكرين المختصين بالدراسات الحضارية، حيث انهم يلتقون على (فكرة الصراع بين الحضارات) فدعاة هذه الفكرة يعتقدون بوجود حضارات في العالم تتنافر بطبيعتها مع حضارة الغرب، كالحضارة الاسلامية، لهذا فان اصحاب هذه الفكرة، اعلنوا حرباً شاملة ضد كل التيارات التي لا تتفق وتتكيف مع القيم والثقافة الغربية فهذا احد دعاة فكرة الصراع فرنسيس فوكاياما وهو مفكر امريكي الجنسية ياباني

١ ينظر: د. احمد شلبي، موسوعة الحضارة الاسلامية، ج١، ط٩، المكتبة المصرية، مصر، ١٩٩٣، ص٦٠٥. وينظر الاستاذ ابو الاعلى المودودي. نحن الحضارة الغربية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب- ت، ص٥. وينظر: الاستاذ محمد قطب. رؤية اسلامية لاحوال العالم المعاصر، دار الوطن ، الرياض، ب- ت، ص٢٠٥-٢٠٦.

٢ ابو الاعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية، موسوعة الرسالة، بيروت، (ب. ط. ت). ص٦.

الاصل يرى ان صراع السنوات القادمة وفي ظل الوضع الدولي الجديد، سوف لن يكون اقتصادياً او سياسياً او ايدلوجياً، بل هو حضارياً وثقافياً، لان الدول القومية – كدول اوربا – ماعدا (الاتحاد السوفيتي) سابقاً وامريكا حالياً اقوى في السياسة الدولية وان الصدامات الرئيسة سوف تقع بين امم وجماعات تعيش وسط ثقافات متنوعة....[١].

ولهذا فان الصدام سوف يسيطر على العالم، وان الصراع سيكون المرحلة النهائية – في صراع اليوم– فالغرب ومن حوالي قرن ونصف دخل في صراع بين الملوك والاباطرة وحاول كل واحد فرض نفوذه وسيطرته العسكرية والسياسية، كما ادى الى ايجاد الدول القومية واستمر الصراع من القرن التاسع عشر الى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٤–١٩١٨ وبعد ذلك تحول الصراع من قوميات الى أيدلوجيات– نظم عقدية.

ففي البدء كان الصراع بين الشيوعية والفاشية والنازية والديمقراطية، ثم بين الشيوعية والرأسمالية، وفي مرحلة الحرب البادرة حدث الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي، ولم يكونا من الدول القومية، في سياق منظومة حضارية غربية، وتحول الى ما بين الحضارات غير الغربية [٢].

يتساءل اصحاب هذه الفكرة (لماذا هذا التصارع ؟) فيعللون هذا الامر حسبما يرون؛ هو لتصاعد حدة الاهتمام بـ الهوية الحضارية في المرحلة القادمة للشعوب والامم، فيتشكل العالم من اكثر من حضارة – غربية ، صينية ، يابانية، اسلامية، هندوسية وغيرها فستشهد هذه الحضارات في المستقبل صراعات حادة، وهذا الشعور الحضاري باهمية الهوية الحضارية سببه الغرب[٣].

هذه الضجة التي احدثها هؤلاء قوبلت بردة فعل مباركة من قبل العالم الاسلامي انها – الصحوة الاسلامية. وعند غير العالم الاسلامي باعتمادهم الفكرة الدينية، امام الصحوة الاسلامية التي برزت منذ سنين سابقة متتالية اخذت بين الحين والاخر شكلاً جديداً واسلوباً متميزاً مع باقي الحركات الاسلامية كتحدٍ وردة فعل امام الطاغوت الصهيوني لهو دليل فشل للسياسة الغربية خاصة الاشتراكية منها والقومية كما حفز الشعوب الاخرى لاعادة بناء العالم وفق تصوراتها الخاصة بها، والتي هي معادية للغرب[٤].

١ ينظر: فرنسيس فوكاياما- نهاية التأريخ ، ترجمة حسن الشيخ، ط٣، دار العلوم العربية ، بيروت، ١٩٩٢، ص٩.
٢ ينظر: فرنسيس فوكاياما ، ١٠٩.
٣ ينظر . مازن المطبقاني ، الغرب في مواجهة الاسلام، المعهد العالي للدعوة الاسلامية المدينة المنورة، ١٤١٩هـ ، ص١٦.
٤ المرجع نفسه، ص١٧.

فتراجع المد الغربي من خلال ظهور الحركات والاحزاب والحركات الاصولية الاسلامية* بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥، والتي رأت الانظمة الغربية غير مناسبة للنظم العربية، فاستخدمت سياسة الانفتاح على الغرب ومحاولة ادخال مبادئ الحرية الغربية الى هذه الانظمة السياسية والمستفيد هو الاصولية الاسلامية؛ لانها استطاعت ان تستخدمها لصالحها في صراعها مع الغرب نفسه.

وهذه الظاهرة قد تكون عابرة الا انها عقدت العلاقات بين الاسلام والغرب[١].

ويرى دعاة فكرة الصراع:- ان ليس للاسلام اي جاذبية خارج نمطه الحضاري وان ايام الغزوات الثقافية الاسلامية انتهت ، اذا كان الاسلام يكسب اتباعاً فان هؤلاء الاتباع ليسوا سوى ساخطين على اوضاع معينة ولكن في تصورهم ليس للاسلام تاثيرٌ وسط شباب موسكو وطوكيو وبرلين، حتى قالوا ان العمليات والحركات الاسلامية ما هي الا عبارة عن حنين الى الماضي ومحاولة اعادة مجموعة من القيم يقال انها كانت موجودة في الماضي[٢].

وعلى هذا الاساس تعد الصحوة الاسلامية اليوم التحدي الاسلامي الجديد لكل ما يخطط له الغرب للنيل من الارادة الاسلامية والتي صاحبها مخاوف كبيرة لدى الباحثين والمفكرين من ظاهرة النمو السكاني لبلدان العالم الاسلامي ولا سيما في شمال افريقيا حيث ادى الى ازدياد الهجرة الى الغرب والتحرك بداخله. فالمجابهة ستكون من جانب العالم الاسلامي كبيرة، والاحتمال ضعيف ان تتقهقر هذه المجابهة فسلك على اثر ذلك الغرب عدة اتجاهات لاضعاف هذه المجابهة، فراحوا يعرضون ويشيرون الى صراعات حضارية كثيرة بحجة ان الاسلام حدوده دامية ومنها على سبيل المثال: الحرب الاهلية في السودان، بين العرب والزنوج وبين النصارى والمسلمين في البوسنة والهرسك، وبين البلغار واقلية تركية في بلغاريا نفسها ، والصراع بين المسلمين والهندوس، والى الان ، في الهند ومحاولة تأجيجه . كل ذلك لصد تيار الحضارة الاسلامية بما تحمله من ثوابت وقواعد هي الاساس في بقائها وعطائها[٣].

* عقيدة سماوية ودعوة عالمية ، نظام شامل للحياة فرداً وجماعه، وهي التمسك بالمبادئ والتعاليم الاسلامية والوقوف عند حدود واوامر الله سبحانه وتحليل ما احل وتحريم ما حرم، هكذا عرفها ، ابو الحسن الندوي، واقع العالم الاسلامي مجلة الصحوة الاسلامية العدد ٢٩. السنة ٨ ، دار العلوم حيدر اباد، الهند، ١٩٩٥، ص٥٨.

١ ينظر الغرب في مواجهة الاسلام، ص١٧.

٢ نهاية التأريخ ، ص٢٦٦.

٣ ينظر: د. فهمي هويدي، العالم الاسلامي ، مكوناته وفعالياته في مطلع القرن الحادي والعشرين العدد ٩٥، سنة ١١، الرياض ، ص٢٨. ، د. حسن الترابي، رائد التجربة الاسلامية السودانية، مجلة الحرس الوطني، العدد، ٩٥، السنة، ١١، الرياض، ١٩٩٠، ص٣٠.

فيرى هنتكتن في كتابه (تصادم الحضارات) ان هنالك اسباباً كانت وراء شدة الصراع، منها:-

١. النمو السكاني الاسلامي باعداد كبيرة فخلف عاطلين من الشباب ساخطين، والذين اصبحوا مجندين للقضايا الاسلامية ويشكلون ضغطاً على المجتمعات المجاورة كهجرة الشباب المسلم الى دول الغرب.
٢. اعطت الصحوة الاسلامية ثقة متجددة للمسلمين في طبيعة مقدرة حضارتهم مقارنة بالتي لدى الغرب.
٣. الاستياء الشديد من المسلمين للغرب ، اثر التدخل في الصراعات داخل العالم الاسلامي.
٤. سقوط الشيوعية ازال عدواً مشتركاً للغرب والاسلام وترك كلاً منهم يصبح الخطر المتصور على الاخر.
٥. الاحتكاك بين المسلمين والغربيين ولّد لدى الجانبين الاحساس بهوية خاصة لكل منهما.

ويقول واصفاً المرحلة القادمة: ((ان العلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافة الحضارات الاخرى هي السمة الاكثر ظهوراً في عالم الحضارات، ومع زيادة القوة والثقافة للحضارات الاخرى يقل الاهتمام نحو الثقافة الغربية، وتزايد ثقة الشعوب غير الغربية بثقافاتها الاصلية والالتزام بها))[١].

من هنا نرى ان التركيز على سياسة العنف من قبل الماكنة الغربية تجاه العرب ما هو الا سلسلة لتصديه سياسة اوربية تجاه الثقافات الاخرى، فان ما حدث عام ١٩٩١، حين شنت القوات العسكرية الاطلسية حربها المدمرة للشعوب وعدم قدرتها على الفعالية والانتاج، وباقي دول العالم الاسلامي خاصة، وغيره عامة هو نتاج لارادة سياسة من نوع خاص ، واعتماد الغرب ان يتحين الفرص ليصل بها الى حرب الافكار، المهم ان تبقى مصالحة ويؤمن حاجاته المادية لحياته لاكثر وهو ما يتصورون انّه اثبات للهوية الحضارية[٢].

من هنا نستنتج ان فكرة الصراع بين الحضارات، ما هي الا امتداد لافكار قديمة تبلورت عبر مراحل التاريخ وفق متطلبات كل مرحلة من تلك المراحل التاريخية، لكنها في جوهرها تاخذ طابعاً مميزاً مؤداه ايهما اولى بالبقاء ؟ هل الوجود الغربي ؟ ام الوجود العربي مثلاً ؟ ام هدفٌ آخر يدعو للمحافظة على الزعامة والهيمنة على الحضارات الاخرى هو ضرورة الانسجام مع الاخرين بدعوى التحاور مع الحضارات الاخرى ؟

المطلب الثاني: الصراع الديني من منظور الشريعة الإسلامية

١ ينظر: د. رسول، محمد رسول، دراسة نقدية لمفهوم هنتكتن، مجلة الكلمة العدد، ٢٤، ١٩٩٩ ، عبر شبكة الانترنيت.
٢ المرجع نفسه، عبر شبكة الانترنيت.

يعبر القرآن الكريم عن هذا القانون الحتمي بقانون التدافع، أو قانون الصراع[١]قال تعالى { وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ} [٢] ،وقال تعالى {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ}[٣]،فهاتان الآيتان متفقتان منهجا، واسلوبا، وسببا، وغاية، فآية سورة البقرة جاءت عقيب قصة دفع جالوت ، وجنوده من نماذج الطغيان ،والظلم ،والافساد، في الارض بجند طالوت من المؤمنين أهل الخير والاصلاح،وآية سورة الحج جاءت عقيب اذن الله تعالى للمؤمنين في قتال الظالمين فهي مبينة لشرعة الجهاد الحربي لدفع ظلم الظالمين ،وتأمين الحياة من شرورهم ،وهذا صريح في أن سنة الله تعالى في المجتمع أن يدفع الناس بعضهم ببعض ،فيسلط اهل الايمان والاصلاح على أهل الالحاد والفجور ،ليقوم بين الناس ميزان الحق والعدل ،ويأمن أهل الأديان على قداسة متعبداتهم، وحرياتهم الدينية ،وهي اقدس الحريات في سنن الله تعالى[٤] . فقانون الصراع هذا يعد حافزا قويا (يدفع الحياة الى العمران، والارتقاء دائما وأبدا) [٥]، وتلك هي القاعدة الاساسية المتمثلة في أن الصراع المركوز في جبلة بني آدم يقود الى تحريك الحياة نحو الاحسن ،وتخطي مواقع الركون، والسكون، والفساد، ومنح القدرة للقوى الانسانية الخيرة كي تشد عزائمها ،وتصقل قدراتها المقاومة الصاعدة في غمرة التحديات المتعاقبة، التي يطرحها الصراع، وأن تسعى لتحقيق المجتمع المؤمن ،الذي ينفذ أمر الله في العالم وفق القاعدة الايمانية العريضة : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦]، لقوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }[٧] ،وهذا من فضله تعالى واحسانه أن يدفع اهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد في الأرض بأهل الصلاح ،ولولا ذلك لغلب اهل الباطل والافساد في الارض، وبغوا على الصالحين، واوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الارض بفسادهم[٨]،وهذا الصراع عنصر أصيل من عناصر الكينونة الانسانية، لا تستقيم بدونه الحياة،

١ ينظر في ظلال القرآن ـ م٣ ص ١٥٩٢.
٢ سورة البقرة:٢٥١.
٣ سورة الحج:٤٠.
٤ ينظر سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ـ محمد الصادق عرجون ـ الدار السعودية للنشر ـ الدمام ـ الرياض ـ ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ص ٦٥.
٥ الحضارات العالمية تدافع أم صراع ؟ ـ د. محمد عمارة ـ دار نهضة مصر ـ ط١ ـ ١٩٨٨م ص١٩.
٦ ينظر التفسير الاسلامي للتاريخ ـ د. عماد الدين خليل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٤ ـ ١٩٨٣م ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.
٧ سورة آل عمران :١١٠.
٨ ينظر تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ـ دار الفكر ط٢ ـ ج٢ ص ٤٩١ـ ٤٩٧.

وهذا العنصر يشير اليه تركيب الانسان من جسم، وعقل، وروح مختلفة المطالب ،متباينة الاتجاه ،وتشير اليه كذلك رغبات الانسان التي لا تقف عند حد، وطاقته المحدودة التي لا تستطيع تلبية الرغبات كلها ،سواء رغبات الجسد، أو العقل، أو الروح، كل تلك المظاهر تشير الى اصالة عنصر الصراع داخل النفس الانسانية ،من هنا يمكن القول (ان الصراع ضرورة بشرية) [١]، وما دام الصراع ضرورة بشرية فقد زود الله سبحانه وتعالى البشر بالقدرة على الصراع ،زودهم بها في أجسامهم وعقولهم ،وأرواحهم ،وكيانهم، والاسلام وهو يقرر حتمية الصراع بين الحق والباطل يقرر هذا على اساس أنه ضرورة لازمة لمنع الفساد في الارض، ولإيجاد التوازن في الحياة البشرية ،وأنه لهذا السبب موجود في بنية النفس الإنسانية، فالفكرة الاسلامية فكرة متوازنة لا تشتط ولا تتطرف الى اقصى اليسار، أو أقصى اليمين، فبينما تقوم الحضارة الغربية اليوم على الصراع الخالص ،صراع بين الافراد لاتحكمه الا الضرورة ،وصراع بين الامم لا تحكمه الا غلبة السلاح ،وبينما قامت الشيوعية على فكرة أن الصراع في ذاته ينشيء الاضطراب في المجتمع، فلابد من القضاء عليه لكي يستريح المجتمع ويستقر الى الابد . وإن كانت في الواقع في حاجة الى صراع دائم للقضاء على نوازع الصراع فإن الاسلام لا يعد الصراع هدفا في ذاته ولا يعد كذلك أنه هو بذاته الذي ينشئ القلق والاضطراب في حياة البشرية، الاسلام يفهم الصراع على أنه وسيلة للتوفيق بين المتناقضات ،ووسيلة بعد ذلك لرفع الكائن البشري عن عالم الضرورة ،وعن وحدة الشر الى حيث يستطيع ان يحلق سويا متوازنا في عالم النور[٢]، من اجل هذا حمل الاسلام رسالة احقاق الحق وابطال الباطل لأنه لا وجود لحق لا ناصر له ، ولا مستمسك به، ولا ظهور لحق ما دام للباطل انياب تفترس ،وأظفار تنشب ،وأنصار مستأسدون تحركهم الغرائز الجانحة، والمطامع الجامحة فالله يريد بما ينزل للناس من شرائع، ان يحق الحق، ويبطل الباطل ،قال تعالى {وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ* لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ } [٣] ،ومن شأن الحق المقرون ببراهينه القاطعة ان يدفع الباطل ويزهقه ،ومن أجل ذلك يقذف الله بالحق على الباطل[٤] ، وقال تعالى {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}[٥]،وقال تعالى {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ

١ في النفس والمجتمع ـ محمد قطب ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ص ٤٧.
٢ ينظر في النفس والمجتمع ـ محمد قطب ـ ص ٤٩ـ ٥٠.
٣ سورة الانفال:٧ـ٨.
٤ ينظر ـ الحضارة الاسلامية ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م. ـ ص ٤٤ـ٤٥.
٥ سورة الانبياء :١٨.

الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً }[1]، فالصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الحياة ، وضرورة اقتضتها حكمة الوجود، فمن لا يعرف الشر ويتأذى منه لا يدرك جمال الخير ويحبه ويطلبه، كذلك فإنه لكي نعرف الحق ونتذوق حلاوته ينبغي لنا أن نقف على امر الباطل ونعرف ضرره ،وهكذا تسير الحياة ،وهكذا نسير نحن معها ، وهذا الصراع قديم فمن يوم أن أهبط الله تعالى آدم وزوجه الى الارض ،وأسكنه وبنيه فيها ، وهم يتصارعون ،ففي كل العصور والأزمنة نجد الصراع قائما بين الحق والباطل، فالانبياء والمرسلون كان لهم خصوم واعداء من اقوامهم ناهضوا دعواتهم ،وحاربوها لكنهم وقفوا في ثبات، وقوة، عزم، وصبر، يناضلون لتثبيت دعائم مبادئهم ويدافعون لإرساء قواعد شرائعهم[2] ، إذن فمسألة الحياد في أمر الحق والباطل مسألة غير واردة وحين يقول إنسان انا محايد بين الحق والباطل يصنف في دين الله وشرعه في قائمة أهل الباطل، ولذلك يقول الله عزوجل {فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }[3] ، والناس تحت سلطان الصراع بين الحق والباطل أما أنصار للحق، وأما أنصار للباطل، ولا توجد منطقة وسطى بينهما ، وهذا الصراع يأخذ دائما مظهرا فكريا بين الذين يدعون الى الحق ، ويمكنون له في العقل البشري حتى يثبت ويستقر ، والذين يستمسكون بالباطل ويدافعون عنه حرصا على مصالحهم الذاتية ،ومنافعهم الشخصية ، ويحدث ذلك بين الفريقين في كل المجتمعات تقريبا مهما يكن أمرها من حيث التقدم والتخلف، ومن حيث الكبر والصغر ، ومن حيث ظروف الزمان وظروف المكان التي قد تتعرض لها اثناء مسيرتها التاريخية . وينشط هذا الصراع وتبرز درجات العنف فيه عندما تكون هناك دعوة جديدة للإصلاح، أو للتغيرات الجذرية ،حيث يتطلب الموقف من الداعين الى الجديد ان ينشطوا الى اكبر حد ،ومن المدافعين عن القديم ان ينشطوا هم ايضا الى ابعد حد، الأمر الذي يدفع حتما الى ارتفاع درجة الحرارة في هذا اللون من الصراع[4]. والذي نعرفه جميعا أن القرآن الكريم كتاب دعوة جديدة ،هي الدعوة الاسلامية، والذي نعرفه جميعا أيضا هو أن الدعوة الاسلامية ،دعوة الى تحقيق تغيرات جذرية في ميادين الحياة المختلفة ،ميادين الآراء والمعتقدات ،وميادين التقاليد والعادات ،وميادين القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية التي كان المجتمع العربي في عصره يمارس حياته اليومية ،وحياته العامة على اساس منها ،من عمليات التغير هذه نشأ الصراع الفكري بين

١ سورة الاسراء :٨١.
٢ ينظر صراع بين الحق والباطل ـ سعد صادق محمد ـ مطبعة السنة المحمدية ـ مصر ط٢ ـ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ٨ـ٩.
٣ سورة يونس :٣٢.
٤ ينظر مفاهيم قرآنية ـ د. محمد احمد خلف الله ـ عالم المعرفة ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت. ـ ص ١٢٧.

الداعين الى الجديد الذي يسمى في القرآن الكريم بالحق ، والمستمسكين بالقيم الذي ينعته القرآن بالباطل ،وكان صراعا قويا وعنيفا، والقرآن الكريم الذي أثار هذا الصراع الفكري لم يبخل علينا بتسجيله، فقد سجل لنا هذا الصراع الفكري في أبعاده المختلفة وأمدنا بالمقولات التي كان يقولها أهل الباطل ،وكيف أنه كان يوجه أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام) الى دحضها والرد عليها ،وهذا ما ستفصح عنه فصول هذه الدراسة . والقرآن يبين في الكثير من آياته أن طريق الحق هو طريق الصلاح والإصلاح، وأن الباطل هو سبيل الفساد والإفساد، وأن على الناس ان يتواصوا بالحق، وأن يتواصوا بالصبر الى أن ينتصر الحق من حيث أن الحق هو الذي سوف ينتصر ،مهما تكن العقبات إن الله . سبحانه وتعالى . يقف دائما الى جانب الحق ،وليس الى جانب الباطل ،وأنه سبحانه وتعالى هو الحق ،وغيره من الالهة هو الباطل.

الذي نخلص اليه من هذا كله هو حتمية الصراع بين الحق والباطل ،فما دام هناك باطل في الأرض فالصراع قائم لا تهدأ معاركه ،ولا تخبو جذوته ولا تنتهي حوادثه ،ولا يكل المتخاصمان فيه عن الجدل والمناقشة.لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته ومهما كانت دولته وكثرته، فحسب دعاة الحق أنهم يستمدون قوتهم من قوة الله سبحانه وتعالى . ويأخذون أدلتهم في محاججة الباطل من كتاب الله وسنة رسوله، اما دعاة الباطل فهم ينصرون باطلهم بأدلة واهية، واهنة ،تعتمد على التقاليد ،وترتكز على الجهل، والارادة الغاشمة، ولن ينتهي هذا الصراع الا بانتهاء الباطل من الارض. هكذا بدا لنا حتمية الصراع بين الحق والباطل وهي حتمية تفرضها سنن هذا الكون.

ثبت المصادر

١. المدخل لدراسة القانون، القاعدة القانونية، نظرية الحق، د. محمد حسن قاسم.
٢. ابو الاعلى المودودي . نحن والحضارة الغربية، موسوعة الرسالة، بيروت، (ب. ط. ت).
٣. ابو الحسن الندوي، واقع العالم الاسلامي مجلة الصحوة الاسلامية العدد ٢٩. السنة ٨ ، دار العلوم حيدر اباد، الهند، ١٩٩٥
٤. ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج٣، ط٣، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر ، ١٩٧٠، ص٣٤٢.
٥. ابي مسعود محمد بن احمد الازهري. تهذيب اللغة ، تحقيق محمد علي النجار، ج٢، دار المصرية للتأليف والترجمة، ب- ت ، ج٢، ص٢٤-٢٥.

٦. آثار الحرب في الإسلام ، د.وهبة الزحيلي دار الفكر دمشق ١٩٩٨
٧. الاستاذ ابو الاعلى المودودي. نحن الحضارة الغربية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب- ت، ص٥.
٨. الاستاذ محمد قطب. رؤية اسلامية لاحوال العالم المعاصر، دار الوطن ، الرياض، ب- ت، ص٢٠٥-٢٠٦.
٩. التفسير الاسلامي للتاريخ . د. عماد الدين خليل . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط٤ . ١٩٨٣م
١٠. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا . دار الفكر ط٢
١١. حسن بن طلال: حوار الحضارات – خطرات ونظرات- رئيس منتدى الفكر العربي، ايرلندا، ٢٠٠١
١٢. الحضارات العالمية تدافع أم صراع ؟ . د. محمد عمارة . دار نهضة مصر . ط١ . ١٩٨٨م
١٣. الحضارة الاسلامية . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق . ط١ . ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م
١٤. حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية في الشريعة الإسلامية . د. احمد أبو الوفا ، ط٢ ٢٠٠٧ ، دار النهضة العربية بيروت
١٥. د. احمد شلبي، موسوعة الحضارة الاسلامية، ج١، ط٩، المكتبة المصرية، مصر، ١٩٩٣، ص٦٠٥.
١٦. د. حسن الترابي، رائد التجربة الاسلامية السودانية، مجلة الحرس الوطني، العدد، ٩٥، السنة، ١١، الرياض، ١٩٩٠
١٧. د. رسول، محمد رسول، دراسة نقدية لمفهوم هنتكتن، مجلة الكلمة العدد، ٢٤، ١٩٩٩ ، عبر شبكة الانترنيت.
١٨. د. عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة ، ط١، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٨٣
١٩. د. فهمي هويدي، العالم الاسلامي ، مكوناته وفعالياته في مطلع القرن الحادي والعشرين العدد ٩٥، سنة ١١، الرياض
٢٠. دراسة في الصهيونية السياسية، منشورة في شبكة الانترنت، www.wahdah.net ، شبكة الوحدة، المقدمة . ... الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية.

٢١. سنن الله في المجتمع من خلال القرآن . محمد الصادق عرجون . الدار السعودية للنشر . الدمام . الرياض . ط٢ . ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م

٢٢. الشريعة والقانون الدولي ، للأستاذ علي علي منصور

٢٣. الشلبي: د. احمد، مقارنة الاديان، المسيحية الجزء الثاني، الطبعة العاشرة، ١٩٩٨،

٢٤. صراع بين الحق والباطل . سعد صادق محمد . مطبعة السنة المحمدية . مصر ط٢ . ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

٢٥. عبد الرحمن أحمد البكري, عمر بن الخطاب, دار الإرشاد للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ج١

٢٦. فرنسيس فوكاياما– نهاية التأريخ ، ترجمة حسن الشيخ، ط٣، دار العلوم العربية ، بيروت، ١٩٩٢

٢٧. في النفس والمجتمع . محمد قطب . مكتبة وهبة . القاهرة

٢٨. القشطيني، خالد: الصهيونية و اللاصهيونية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ط١، بيروت، ١٩٩٠

٢٩. مازن المطبقاني ، الغرب في مواجهة الاسلام، المعهد العالي للدعوة الاسلامية المدينة المنورة، ١٤١٩هـ

٣٠. مجد الدين الفيروز ابادي . القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ب– ت، ج٣.

٣١. مجموعة الأبحاث العلمية ، د. مصطفى إبراهيم الزلمي بدون سنة الطبع

٣٢. محاضرات في القانون الدولي العام . محمد المذوب .، بدون ناشر

٣٣. مفاهيم قرآنية . د. محمد احمد خلف الله . عالم المعرفة . سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت.

٣٤. الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء ، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ، بيروت، ط٤، ١٩٨١م

٣٥. النظرية العامة لحقوق الإنسان، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي؛ د. جبار صابر طه، أستاذ القانون الدولي الخاص، المساعد، الطبعة الأولى، مطبعة منار، أربيل

٣٦. وثائق حقوق الإنسان ، د.الشافعي محمد بشير ، مادة ١٨